الحجاج بالإيتوس الخطابي في شعر مظفر النواب

The Argumentation of Discursive Ethos in the poetry

By Mouthaffar Ennouab

إيمان بوطلبة*[1]

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر

i.boutelba@univ-skikda.dz

عبد السلام جغدير[2]

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر

a.djaghdir@univ-skikda.dz

تاريخ الإرسال:2023/03/13	تاريخ القبول:2024/06/08	تاريخ النشر:2024/06/30

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى رصد الإيتوس الخطابي الذي رسمه الشاعر مظفر النواب عن ذاته داخل خطابه الشعري، وذلك قصد إقناع الجمهور المتلقي بمواقفه وآرائه السياسية، وقد توصلنا من خلال قراءتنا لمنجزه الشعري أنه عمل على بناء صورته في مقابل هدم صورة الآخر – الحكام العرب – والملاحظ أن الشاعر وظف هذه الإستراتيجية الحجاجية حتى يتمكن من إعطاء مشروعية لخطابه، وكسب ثقة وتأييد المخاطب.

و بناء عليه، سنعمل على الكشف عن الصورة الخطابية التي رسمها الشاعر عن ذاته عبر أشعاره باعتبار أنها تمثل شكلا من أشكال الحجاج الضمني، محاولين على إثر ذلك إبراز سلطة ذات الشاعر

* إيمان بوطلبة

داخل خطابها، وقدرتها على الخفاء والتجلي ما يمنحها القدرة على توجيه المتلقي نحو المقاصد التي يبثها الشاعر داخل خطابه.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج، الإيتوس، الإستراتيجية الحجاجية، الصورة الخطابية، الحجاج الضمني.

الملخص باللغة الأجنبية :

This study seeks to monitor the discursive ethos drawn by the poet Mouthaffar Ennouab within his poetic discourse, in order to convince the audience of his political positions and opinions. This argumentative strategy is so that he can give legitimacy to his speech and gain the trust of the recipient and the support of the addressee.

Accordingly, we will work to reveal the discursive image that the poet drew about himself through his poems, considering that it represents a form of implicit arguments, as a result of which we try to highlight the authority of the poet s self within her discourse, and her ability to conceal and manifest, which give her the ability to direct the recipient towards the purposes that the poet broadcasts inside his speech.

Keywords:

Argumentation, Ethos, argumentative strategy, discursive image, implicit arguments.

مقدمة:

عرف الدرس الحجاجي تطورا عبر مساره التاريخي حيث شهد عدة نظريات من بينها نظرية الحجاج البلاغي لبيرلمان (**Perelman**)، وتيتكاه(**Tyteca**)، ونظرية الحجاج اللغوي لأوزفالد ديكرو (**O. Ducrot**)، وأنسكومبر (**J.C.Ancombre**)، وقد توجهت الأنظار مؤخرا إلى دراسة أشكال أخرى للحجاج استبعدت لردح من الزمن من حيز اهتمام البحث اللساني بصفة عامة والدرس الحجاجي بصفة خاصة لدواعي موضوعية في الأساس، وتتمثل هذه الأشكال في الحجاج بصورة الذات المتكلمة، والحجاج بالعواطف أو حجة المتلقي.

وما يهمنا في هذا المقام هو حجة الإيتوس، وذلك من منطلق أنه لا يمكن طمس حضور الذات المتكلمة في خطاباتها، فهي تتصهر داخل خطابها– فترفض، وتنهى، وتؤيد ... –عبر ملفوظاتها سواء أكان حضورها صريحا أم مضمرا. وعليه، فالمتكلم يحاجج داخل خطابه بواسطة الصورة التي يشكلها عن ذاته، فمن شأن ذلك أن يخلق الثقة بينه وبين الجمهور المتلقي فيذعن بفحوى خطابه.

ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة التطبيقية لتكشف عن البعد الإقناعي لإيتوس –مظفر النواب –في بعض النماذج من أشعاره نحاول من خلالها الكشف عن حضور ذات الشاعر كحجة داخل خطابه، فالملاحظ أن الشاعر فرض سلطته على ملفوظاته، فهو يحاجج بشكل أو بآخر عن آرائه ومواقفه السياسية، فطفت بذلك صور عديدة عن صفات الشاعر عبر نصه الشعري.

وعلى هذا النحو، فإن الشاعر مظفر النواب يحاجج من خلال الصور الخطابية التي بثها عبر أشعاره، وهذه الأخيرة يستنبطها القارئ، أو بعبارة أخرى يستدل عليها من خلال علامات لغوية وأخرى غير لغوية يوظفها الشاعر قصد تحقيق مخططه الحجاجي، وبالاستعانة بما جادت به ساحة الدراسات اللغوية على رأسها التداولية وتحليل الخطاب ...،كما أن رصد حضور الذات داخل خطابها متعلق أساسا بمعرفة مقامات التخاطب.

وبناء على ما سبق، فالإشكالية التي تستوقفنا كيف وظف الشاعر صورته الخطابية كحجة داخل خطابه الشعري؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما مفهوم الإيتوس؟ وماهي أنواعه؟
- ما علاقة الإيتوس بالحجاج؟
- كيف ساهمت ذات الشاعر – مظفر النواب – في تشكيل الخطاب الحجاجي؟

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي كما استعننا بالمنهج التداولي حتى نتمكن من الكشف عن تجليات حضور الذات في الخطاب، والدور الحجاجي الذي لعبته الصورة الخطابية لذات الشاعر في بناء خطاب إقناعي .

1 – مفهوم الإيتوس :"Ethos"

عرف مفهوم الإيتوس « Ethos » تطورا حاسما عبر مساره التاريخي بداية من كونه أحد أنواع الحجج الثلاثة عند أرسطو "اللوغوس ، والإيتوس ، والباتوس"، كما تجاذبته حقول معرفية عديدة حاولت أن تقدم له وسائل التحليل للكشف عن تشكله داخل الخطابات من بينها التداولية، وتحليل الخطاب سنعمل على الوقوف على هذا المفهوم في كل من الخطابة، والتداولية، وتحليل الخطاب.

1 –1 – في الخطابة :

يعد الإيتوس عند أرسطو "حجة قوتها تستمد من الصورة التي تكون للمتكلم لدى السامع ومن الأثر الذي يتركه الخطيب في نفس الجمهور "[1]وبذلك فحجة الإيتوس حسب أرسطو تقوم على أخلاق المتكلم " والخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة، لأننا نستشعر الثقة على درجة أكبر وباستعداد أوسع بأشخاص معتبرين في كل الأمور بوجه عام (...) وهذا الضرب من الإقناع ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم. "[2]

كما أن لهذا المفهوم عند أرسطو "معنيين فهو يشير من جهة، إلى الفضائل الأخلاقية التي تعطي الخطيب مصداقية أي الحذر والفضيلة وحسن الاستعداد، ويشتمل من جهة ثانية، على بعد اجتماعي من جهة أن الخطيب يمكن أن يقنع إذا تكلم بطريقة ملائمة لطبعه وصنفه الاجتماعي، ويتعلق الأمر في الحالتين بصورة الذات التي ينتجها الخطيب في خطابه، لا بالشخص العيني "[3]وبذلك يمكننا القول إن مفهوم الإيتوس لهو جذور ضاربة في القدم ترجع أصوله إلى أرسطو الذي عده أحد أنواع الحجج الثلاثة إلى جانب حجة اللوغوس والباتوس.

1 -2 - في التداولية :

يقدم أوزفالد ديكرو تعريف للإيتوس باعتباره " صورة للذات، موصول ب المتكلم بما هو هو " في مقابل الذات الإخبارية الواقعة في ما هو خارج اللغة فباعتباره مصدرا للتلفظ يحدد المتكلم نفسه وقد خلعت عليه بعض الصفات التي تجعل هذا التلفظ نتيجة لذلك مقبولا أو منفرا "[4]

ويلح ديكرو على "مركزية التلفظ في بناء صورة الذات ذلك أن جهات قوله تسمح بمعرفة المتكلم أحسن مما يستطيع إثباته عن نفسه ومفهوم الإيتوس الموروث عن أرسطو قد طوره ديكرو في إطار نظرية تعدد الأصوات"[5]

تعد رؤية ديكرو للإيتوس" رؤية تجاوز فيها أسلافه والسابقين له، إذ نفى عن دراسة الإيتوس كل صبغة ذاتية واعتبر أن الخطيب عندما يصنع خطابا، ذاتا متخارجة عما أنتجت، إذ لا علاقة في الخطاب، حسب نظره، بين الذات والواقع، والذات والخطاب "[6]

وينبغي أن ننوه إلى أمر مهم هو أن "الإيتوس في لسانيات التلفظ أو ما يسمى بنظرية تعدد الأصوات (la polyphonie) ليس بالأساس وسيلة من وسائل الحجاج"[7]

وبذلك، نستنتج أن مفهوم الإيتوس كما قدمه أوزفالد ديكرو لا يرمي إلى الكشف عن البعد الحجاجي للذات المتكلمة بقدر ما يستهدف الكشف عن تعدد الأصوات، فهو بذلك ليس آلية حجاجية، كما تعد مقاربته شكلية خالصة عمد من خلالها إلى فصل الذات المتلفظة عن الذات في الواقع.

1-3 - في تحليل الخطاب:

كما تلقف محللو الخطاب مفهوم الإيتوس و"يعتبر دومنيك منغونو **Dominique** « **Maingueneau** »من أبرز الذين أعادوا النظر في مفهوم الإيتوس وفق تصور جديد خرج من ساحة الخطابة إلى تحليل الخطاب، ومن تصور نظري إلى أداة إجرائية توسل بها الباحث في تحليل طائفة من النصوص الأدبية وغير الأدبية"[8]

الإيتوس كما عبر عنه منغونو مستندا في ذلك إلى" بارت" و" ديكرو" ينتمي إلى التلفظ لا إلى الملفوظ، وهو ما تكشف عنه طرائق القول ووجوه بناء الخطاب لا مما يتم الإعلان عنه بصريح اللفظ "[9]

وهكذا، يتحدد الإيتوس بوصفه" طريقة من طرق بناء صورة الذات، أي طريقة التعبير عن الوجود (manière d'être) انطلاقا من طريقة القول (manière de dire)بغاية تحقيق رهانين أساسين لا بد من توافرها في الخطاب الإقناعي حسب باتريك شاردو هما رهان الشرعية enjeu de (légitimations) ورهان الصدق (enjeu de crédibilité) من أجل التأثير في المخاطب"[10]

يمكن القول إن " الخطاب الذي ينجزه المتكلم يتوجه نحو قصد ويؤم غاية محددة، من خلال التأسيس لفعل كلامي أكبر، أو نقول بلغة الحجاج نحو (أطروحة) وهي افتراض يؤدي بنا إلى القول إن المتكلم حين ينحت لنفسه صورة ما يكون ذلك بغاية خدمة هذا المقصد وخدمة هذه الأطروحة"[11]

وبذلك، نستنتج أن الصورة التي ينحتها المتكلم عن نفسه تخدم قصد الخطاب، وتوجه المتلقي بشكل غير مباشر إلى الأطروحة التي يتأسس عليها الخطاب.

2- أنواع الإيتوس:

يمكن تقسيم الإيتوس إلى نوعين :

2 -1 - الإيتوس الخطابي : Ethos Discursif

هو صورة الذات التي يصنعها الخطيب داخل خطابه ويضمنها ملفوظه، فهذه الصورة تمنحه السلطة والمصداقية في عيون جمهوره، فهي بهذا المعنى وداخل هذا السياق تحدد تهيكل حدث الخطاب الحجاجي "[12]

2 -2 – الإيتوس ما قبل الخطابي : Ethos Prèdiscursif

تفرزه المعطيات السابقة لتكوين الخطاب، سواء أكانت قائمة من الواقع أو مستمدة من وحي المتخيل الجمعي"[13]

وعلى هذا النحو، فإن الصورة التي يشكلها المخاطب عن الذات المتلفظة ليست وليدة ملفوظات الخطاب فحسب، وإنما قد تتشكل أيضا من المعارف السابقة عن المتكلم، فتكون بذلك صورة ما قبل خطابية عنه.

3 – علاقة الإيتوس بالحجاج:

يعد الإيتوس إستراتيجية حجاجية؛ إذ تتضافر هذه الأخيرة مع الحجج اللغوية والحجج العاطفية وتنصهر معها لتشكل ترسانة واحدة داخل الخطاب الحجاجي على اعتبار أن الإيتوس " فعل تأثيري ومشروع إقناعي مرتبط بنجاعة الخطاب؛ فالإيتوس انطلق من مبدأ أنه يستحيل الإقناع دون أن يظهر الخطيب منذ البداية في صورة توحي بالمصداقية والثقة. إن الخطاب الإقناعي لا يؤثر في السامع بالحجج العقلية فقط، ولكنه يؤثر أيضا بتقديمه لذات الخطيب في صورة قابلة للإيحاء بالثقة "[14]

وعليه، لما كان كل "خطاب حجاجي يروم التأثير، وكان كل خطاب يقدم صورة عن الذات تصبح شكلا من أشكال الإقناع والتأثير. إنه المفهوم المتعلق بمجموعة من الإستراتيجيات الخطابية التي تروم توصيل صورة إيجابية عن المتكلم أو المتلفظ "[15] وبذلك يمكننا القول بواسطة الإيتوس، يجند الحجاج كل ما يسهم، داخل التلفظ الخطابي في إرسال صورة عن الخطيب في اتجاه المخاطب "[16]

وتأسيسا على ما سبق، "يكتسب الخطاب قيمته وفعاليته من السلطة التي يحظى بها المتكلم، ومن السمات التي تحدد هويته في وعي السامعين؛ فقيمة الخطاب مستمدة من قيمة صاحبه، وتأثيره في السامعين مستمد من تأثير صورته فيهم "[17]

وبذلك، يتضح أن الذات تحاجج داخل خطابها، وتظهر بشكل أو بآخر من خلال الصورة التي تتشكل في ذهن المتلقي، وذلك في مختلف الخطابات، "والناظر في المنجز الشعري العربي يلاحظ ميلا واضحا

من الشعراء في قصائدهم إلى رسم صورة إيجابية عن أنفسهم تساعدهم إذا انطلت على المخاطب على تحقيق مآربهم وبلوغ مقاصدهم "[18]

وقد تبدو هذه الصورة التي ينحتها الشعراء عن أنفسهم أكثر جلاء في الشعر السياسي المعاصر أين نجد الشاعر يحاجج عن آرائه ومواقفه حول كل القضايا والأحداث من خلال منجزه الشعري؛ أي بصيغة أخرى أضحى الشاعر يبتغي تغيير الواقع عبر الكلمات، ولا يتم ذلك من خلال الحجج العقلية فحسب؛ بل نجده يحاجج من خلال حضوره كذات داخل خطابه.

يقدم محمد مشبال جملة من المرتكزات يستعان بها عند تحليل إستراتيجية الإيتوس في الخطاب يمكن أن نوجزها في النقاط الآتية:[19]

- تقوم إستراتيجية أخلاق الخطيب وصورته الذاتية على تفاعل الإيتوس الجاهز والإيتوس الخطابي بشكليه الصريح والمضمر.
- يعد الهجوم على الآخر (الخصم) في ما سمي بحجة آدم هومنيم وسيلة من وسائل بناء إستراتيجية الإيتوس؛ أي أنها حجة مكملة لحجة الإيتوس، أو وجهها السلبي في الخطاب.
- يستثمر تحليل إستراتيجية الإيتوس في الخطاب، مجموعة من الوسائل التي يتيحها الخطاب، ومجموعة من المفهومات التي تبلورت في حقول متعددة؛ بلاغة الحجاج، وبلاغة الصور، ولسانيات التلفظ، والتداوليات، وتحليل الخطاب... وغيرها.

والناظر في أشعار مظفر النواب يجد أن ذاته حاضرة في ملفوظاته، فهو يشحنها بمواقفه وآرائه؛ إذ نجده يرسم صورة إيجابية عن ذاته في مقابل هدم صورة الآخر – الحاكم المستبد– فالشاعر بنى خطابه الشعري بالاستناد إلى نسقين متصارعين يمثل النسق الأول الشاعر كمعادل موضوعي للطبقة الواعية في مواجهة النظام المستبد، وقد صور الشاعر من خلال خطابه تاريخ صراعه الطويل ضد النظام الحاكم، وكل ما طاله من قمع وتعذيب من قبل الجلاد الذي لم يدخر أي وسيلة في سبيل إخماد صوت الشاعر غير أن الشاعر لم يبع مواقفه وقيمه، وظل مخلصا لوطنه يحاول إيقاظ الشعوب العربية، وإقناعها بفساد الحكام العرب.

4 – البعد الحجاجي للإيتوس الخطابي في شعر مظفر النواب :

وظف الشاعر مظفر النواب إيتوسه الخطابي إما بشكل مباشر، وذلك يتمظهر في توظيفه لملفوظات صريحة تدل على صفات الذات مما يخلق نوعا من الثقة بين الشاعر والمتلقي، فيذعن بما يحمله الخطاب من دعاوي؛ أي بصيغة أخرى يكسب تأييد المتلقي مما يسهل عليه توجيهه نحو المقاصد الحجاجية المضمرة في الخطاب، وفي مقابل ذلك قد نجد الشاعر يرسم صورة عن ذاته بطريقة غير مباشرة بتوظيف وسائل متعددة كالسخرية والتمثيل والرمز... فيستدل المتلقي على الصورة التي تشكلت في ذهنه مما يكسب دعمه لفحوى الخطاب من حيث لا يدري، فيسهل استدراجه إلى المخطط الحجاجي الذي رسمه الشاعر، "وهذا التصور للإيتوس الخطابي أو لصورة المتكلم في الخطاب، هو ما سيعبر عنه رولان بارت في قوله مميزا ما يقوله الخطيب عن ذاته، من ما يتلفظ به دون أن يشير إلى ذاته: "يتلفظ الخطيب بمعلومة وفي الوقت نفسه يقول : أنا هذا، ولست ذاك"[20]

وتأسيسا على ما سبق، سنعمل من خلال هذا الجزء التطبيقي على الكشف عن الإيتوس الخطابي كحجة عمد إليها الشاعر سواء أكان حضوره مباشرا في صرح الخطاب أم مضمرا يحتاج إلى تأويل، وقد استندت هذه المقاربة أثناء التحليل على إبراز كيف عمل الشاعر مظفر النواب على بناء صورته –إما مباشرة أو ضمنيا – في مقابل هدم صورة الآخر – الحكام العرب – ويجدر بنا أن نشير إلى أن " إدراك الذات في الخطاب، لا ينفصل عن الصورة المترسخة في الذهن عن هذه الذات كما حضرت في العالم أو السياق الخارجي"[21].

4-1 – الإيتوس المباشر :

المتأمل في شعر مظفر النواب يجد أنه في مواضع كثيرة قد وظف صورته كحجة بشكل علني، فالشاعر يعبر بكل صدق عن مواقفه السياسية، وقد صرح بها من خلال ملفوظات مباشرة؛ حيث رسم صورة إيجابية عن ذاته، ويظهر ذلك في قوله:

"أقول لناصر

أخطأت فينا اجتهادا

ولكننا أمناء "[22]

يظهر في هذا المقطع الشعري أن الشاعر مظفر النواب يرسم صورة الأمين المخلص لما قدمه أحد أهم قادة العالم العربي الذي عُرف بعدله وكفاحه في سبيل وحدة الدول العربية، وذلك من خلال

استحضاره لشخصية " جمال عبد الناصر " الرئيس المصري الذي عرف بشجاعته، وضميره السياسي، وتوظيف الشاعر لهذه الشخصية لم يكن عشوائيا، وإنما هو على إدراك لوزنه ومكانته في أذهان جمهور العالم العربي كله لما له من مسار قيادي حافل بالانتصارات، والمواقف التي خلدها التاريخ، وقد عمد الشاعر مظفر النواب إلى توظيف صورته من خلال ملفوظه " ولكننا أمناء" مصرحا بالمقاصد التي يريد أن يوجه المتلقي إليها، فالشاعر لا ينفك عن طريق العدالة وقول الحق، ولم ينحرف على نهج " جمال عبد الناصر " فمن شأن ذلك أن يكسب ثقة المتلقي بالشاعر من خلال هذه الصورة التي بناها عن ذاته وقد صرح بالصورة التي يريد أن يرسمها في ذهن المتلقي من خلال ملفوظه "ولكننا أمناء".

كما نجد أن الشاعر قد وجه إلى" جمال عبد الناصر" فعلا كلاميا تعبيريا يتمثل في الاعتراف بضياع جهوده ومساعيه في توحيد العالم العربي، ونبذ الظلم والفساد بمختلف أشكاله، وتجسد ذلك من خلال ملفوظه " أخطأت فينا اجتهادا " فالشاعر بطريقة غير مباشرة يرسم الواقع العربي المعاصر بمختلف أبعاده من بينها انحراف قادته على نهج "جمال عبد الناصر" الذي يمثل معادلا موضوعيا، وصورة مثالية للقائد الجدير بكرسي الحكم، كما يحمل الملفوظ خطابا مضادا يعكس انحطاط الحكام العرب، وفقدانهم للمسؤولية والضمير في الحكم، فتلك بمثابة صورة سلبية عن الحكام العرب، فالشاعر يحاجج في هذا المقام باستخدام صورته كأمين لخطى "جمال عبد الناصر" في مقابل هدم صورة الحكام العرب مما يمنح كلامه قدرة أكبر على الإقناع.

وكذلك نجد من بين الصور التي بثها الشاعر في متنه الشعري، والتي تمثل حجة إيتوسية قدم من خلالها عن ذاته صورة المبشر بانتهاء فصول الهزيمة التي طُبعت على العالم العربي لسنوات عجاف وقد أعلن الشاعر بشكل مباشر عن الصورة التي يريد أن يرسمها من خلال ملفوظ مباشر "أُبشر" يتجلى ذلك في قوله :

من أقصى الحزن أتيت

كي أغلق أبواب

بيوت المهزومين

وأبشر بالإنسان

وبالإنسان

....

وبمن لا يملك سقفا

سيكون له سقف

في هذه الدنيا ...

وينام

لكن

واخجلي من بيت

مهزوم

سيخجل من باعوا لغتي

فأنا مكتوب في الأرز"[23]

يقدم الشاعر في هذا المقطع الشعري صورة المبشر المتفائل، ويظهر ذلك في قوله" أبشر بالإنسان بالإنسان"، حيث حمل الملفوظ معاني مستلزمة تمثلت في استرجاع كرامة الانسان وحريته، فجاء كلامه دعوة صريحة لاسترجاع إنسانية الإنسان من ناحية، ومن ناحية أخرى أضمر الملفوظ خطابا مضادا تجسد في رفض كل أشكال الظلم، والقهر، والإذلال الذي تتخبط فيه الشعوب العربية، فالجلاد فرض عليهم العبودية التامة، فالشاعر يبتغي تغيير هذا الواقع المخزي باسترجاع إنسانية الإنسان في ظل الهزيمة النكراء التي بصمت جذورها على الأمة العربية جمعاء من قادة، وشعوب مستضعفة، ومثقفين، ويظهر ذلك في ملفوظه "من أقصى الحزن أتيت كي أغلق أبواب بيوت المهزومين"، فالشاعر يرفض هذه الهزيمة، ويريد أن يسترجع العالم العربي وزنه بين الدول العظمى بعد أن أضحى قادته حجر الشطرنج الذي تحركه هذه الأخيرة، فرغم الحزن الذي تتخبط فيه ذات الشاعر الذي لا يملك بيتا أو سقفا بعد أن تخلى عنه وطنه إلا أنه بقي وفيا له، ويبشر بإغلاق أبواب الهزيمة نهائيا، فمن شأن هذه الصورة التي نسجها الشاعر عبر هذا المقطع الشعري أن تفعل فعلها في كسب ثقة المتلقي وتأييده لآراء الشاعر و مواقفه، وفي مقابل ذلك يرسم الشاعر صورة الآخر – الحكام العرب – في نهاية المقطع من خلال ملفوظه "" واخجلي من بيت مهزوم " فالشاعر

وظف رمز " البيت المهزوم" دلالة على الأمة العربية التي جرت أذيال الهزيمة على كل الأصعدة، وذلك راجع إلى سياسة حكامه الفاسدين، فالشاعر يتوعدهم بالخجل الذي سيبقى بصمة عار في تاريخ كل الحكام العرب من خلال الفعل الكلامي الالتزامي "وسيخجل من باعوا لغتي " فالشاعر في هذا المقام يرمز بملفوظه من" باعوا لغتي" للحكام العرب الذين طبعوا للصهاينة وخانوا أوطانهم خدمة لمصالحهم.

صفوة القول، يبدو جليا أن الشاعر قد قدم عن نفسه صورة المبشر الداعي إلى التغيير، ومحو العار عن العالم العربي المهزوم بإغلاق كل الأبواب المسببة للهزائم مما يكسب خطابه أكثر تأثيرا وإقناعا ومشروعية يستوجب على إثرها حصوله على ثقة المتلقي، وموافقته على الدعوى التي يؤسس عليها خطابه، وفي مقابل ذلك يهدم صورة الآخر – الحكام العرب– وينتقل بذلك المتلقي من عاطفة الرضا على الشاعر إلى عاطفة الغضب من الحكام العرب، وتحقق ذلك من خلال الملفوظ" من باعوا لغتي " الذي عمد الشاعر من خلاله إلى استثارة عاطفة غضب الجمهور المتلقي، فالشاعر يحكم التلاعب بعواطف المتلقي حتى يصل إلى أهدافه الحجاجية.

4– 2 – الإيتوس المضمر:

عمد الشاعر إلى فرض صوته عبر أشعاره، فالمتمعن في ملفوظاته الشعرية تتشكل لديه صورة عن ذات الشاعر مظفر النواب، وذلك بشكل غير مباشر؛ إذ يستنبط المتلقي الصورة التي يقدمها عن نفسه بطريقة غير مباشرة مما يجعلها منصهرة عبر ملفوظاته؛ إذ يصل إليها المتلقي بما يتاح له من وسائل التأويل التداولي، والتأويل حسب سامية الدريدي ليس " مجرد انتقاء قراءة معينة من قراءات متعددة بل هي بناء للمعنى واختراع للدلالة[24]ومن بين النماذج التي توضح الإيتوس المضمر في شعره قوله :

"أضحك ممن يغريني بالسرج

وهل يسرج في الصبح حصان وحشي

ورث الجهة من معركة اليرموك

وعيناه الحيرة

والأنهار تحارب في جسدي"[25]

قدم الشاعر في هذا المقطع الشعري صورة الشجاع الذي لا يسرج، ولا يثني مساعيه عن قول كلمة الحق لجام، ولا تسرجه قوة عن مقارعة الفساد حيث عبر الشاعر عن ذلك من خلال ملفوظه " أضحك ممن يغريني بالسرج " متهكما بشكل مبطن من الحكام العرب الذين عملوا على وضعه تحت جناحهم، إذ لم يدخروا ثمنا لمساومته لردعه عن مواقفه وآرائه السياسية، ووعيه الذي تجاوز الحاضر العربي ليمتد إلى استشراف المستقبل العربي المظلم غير أن مظفر النواب رفض الجلوس على طاولة المساومات، ولم تغره الأطماع الشخصية عن العدول عن آرائه، ومواقفه السياسية الهادفة إلى محاربة الفساد على كل الأصعدة في العالم العربي بصفة عامة والعراق بصفة خاصة، فحبه لوطنه لا يقبل مساومات، فمن شأن هذه الصورة التي قدمها الشاعر عن ذاته أن تكسب الشاعر ثقة المتلقي لالتزام الشاعر لوطنه و إخلاصه له، وقد قدم الشاعر حجة تمثيلية بمثابة معادل موضوعي لذات الشاعر و" الحجاج بواسطة التمثيل هو توريط المتلقي وإجباره على تأويل البيت وتفكيك الصورة، وبذلك يقع إلزامه بالنتيجة التي انتهى إليها بعد تفكيك وتأويل "[26]ويظهر التمثيل في علاقة المشابهة التي ولدها الشاعر بين ذاته والحصان الوحشي الذي يصعب سرجه، وذلك المعنى الحرفي، والمتمعن في البيت يجد أن الشاعر يقصد ذاته التي ترفض الخضوع والعبودية للجلاد الذي يريد أن يسرجه، ويظهر ذلك في ملفوظه الاستفهامي " وهل يسرج في الصبح حصان وحشي " حيث خرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى الاستنكار والتهكم، فالشاعر عبر من خلال ملفوظه عن استحالة خضوعه للجلاد، ويدعو إلى الدفاع عن الحق ويرفض العبودية التي فرضها الحكام العرب الذين ساوموا لأجل ثنيه عن مبادئه، وقيمه، فتظهر في هذا المقطع الشعري صورة الشجاع المخلص الذي لا يميل صوته عن تصوير الواقع، ولا يسرجه سراج الأطماع، فالمقطع يقدم صورة إيجابية عن الشاعر، وفي مقابل ذلك يعري حقيقة السلطة الحاكمة التي لا تدخر جهدا لإخماد أي شرارة وعي تنبعث، وتعمل على طمس وجودها، فأكبر عدو للنظام الفاسد هو اليقظة والوعي الذي يقود الأمم إلى القمم في المقابل غيابه يجعلها في انحطاط، وتخلف ما بعده تخلف.

صفوة القول، حمل المقطع الشعري بين ثناياه صورة إيجابية عن الشاعر مظفر النواب تتمثل في الشجاعة، وفي مقابل ذلك عمد الشاعر إلى هدم صورة الآخر –الحكام العرب– الذين لا يتوانون عن شراء الأصوات الواعية، والشاعر ما هو إلا معادل موضوعي للطبقة الواعية التي لم ترض بالذل والهوان على تراب أوطانها عبر الأزمنة.

وكذلك نجد من بين النماذج التي وظف الشاعر صورته الخطابية بشكل ضمني حتى يمرر مقاصده إلى المتلقي قوله:

"أحمل مقبرة

أحاول إيقاظ موتاها "[27]

يظهر الشاعر في هذا المقطع الشعري في صورة الواعي لكل ما يجري في العالم العربي، والملاحظ أنه لم يصرح بمقاصده مباشرة موظفا بذلك إيتوسه بشكل مضمر ما حمل ملفوظاته بمعاني مستلزمة، فالمتمعن في قول الشاعر" أحمل مقبرة" يجد أنه يرمز بذلك إلى الشعوب العربية التي يحاول الشاعر بث الوعي واليقظة لديها إلا أن الشاعر يعلن فشله من خلال هذا الملفوظ التعبيري الذي حمل بين طياته اعترافا باليأس، وفقدان الأمل من أن تستيقظ الأمة العربية، وذلك ما عبر عنه ملفوظه "أحاول إيقاظ موتاها " فالمتمعن في هذا الملفوظ الذي جاء عبارة عن كناية عن الجبن والصمت الذي تغرق فيه الأمة العربية، حيث صورهم من خلال هذا المقطع بالمقبرة التي لا يمكن أن يستيقظ موتاها، ورغم الحقيقة المؤلمة إنما هي فعلا حال الأمة العربية التي سلبت إرادتها وشمعت أفواه الشعب من طرف الجلاد، فأصبح الشعب العربي لا يملك حرية التعبير، وإبداء الرأي ويتقبل بذلك كل ما يقع معه، فالشاعر رسم لنفسه صورة الواعي الذي يحاول إيقاظ الشعوب الغافلة، وقد عبر الشاعر عن رفضه لهذا الواقع من خلال قوله:

سكوتك أوجع من صلبي

وندائي في القفر

كأن غزالا يسلخ في حمى العشق"[28]

حيث يضعنا الشاعر أمام صورة تقشعر منها الأبدان وهي "الصلب"، فبالنسبة للشاعر الصلب أهون عليه من الصمت، وقد كان الشاعر صادقا في كلامه، وكانت الضريبة التي نتجت عن رفضه للصمت أن شرد، وأغلق العالم العربي أبوابه في وجهه، وبذلك يمكننا الوقوف على الصورة التي رسمها الشاعر عن ذاته، وهي إيتوس الشجاع الذي يفضل أن يصلب على أن يصمت، وهذه الصورة من شأنها أن تحقق تأييد المتلقي للشاعر، وتدعم المسعى الحجاجي للخطاب، وفي مقابل الصورة الإيجابية التي رسمها الشاعر عن ذاته نجده يضعنا أما خطاب مضاد؛ إذ قام بهدم صورة الآخر الحكام العرب الذين يمارسون كل أنواع الرقابة والقمع لمن تسول لهم أنفسهم الخروج على نظام الغاب الذي فرضوه، فالذي يطالب ويعترض نهايته الموت تحت سوط الجلاد أو النفي إلى ديار الغربة.

وقد وظف الشاعر في المقطع الشعري الموالي صورة أخرى تتمثل في إيتوس المخلص للوطن ويظهر ذلك في قوله:

يا أبواب الأهواز

أموت حنينا

غادرت الفردوس المحتمل

كنهر يهرب من وسخ

البالوعات

حزينا

أحمل من وسخ الدنيا

أن النهر

يظل ...

يظل...

يظل أمينا

أن النهر يظل..."[29]

يوجه الشاعر خطابه في هذا المقطع إلى أبواب الأهواز معبرا بذلك عن الحنين والشوق الذي صهر ذات الشاعر بعد سنوات عجاف قضاها الشاعر في ديار الغربة بعيدا عن أرض الوطن التي يراها الفردوس المحتمل الذي غادره غصبا عنه أين وجد نفسه ملاحقا أينما حل، وقد قدم صورة تمثيلية تعكس حقيقة وضعه مشبها نفسه بالنهر الذي هرب من وساخة البالوعات(الحكام العرب) لتكون بذلك هذه الصورة أكثر تأثيرا على المتلقي، وقد عمد الشاعر إلى تكرار الملفوظ " أن النهر يظل لمجراه أمينا " ليؤكد على إخلاصه للوطن ، فقد رسم من خلال هذه الصورة التمثيلية إيتوس الأمين المخلص للوطن في مقابل هدم

صورة الآخر (الحكام العرب) الذين شبههم بالبالوعات، وذلك للنهب والأطماع التي جعلتهم يبيعون الأخضر واليابس في البلدان العربية تلبية لأطماعهم.

وفي مقام ساخر نجد الشاعر ينحت لذاته صورة الصاحي والواعي بكل ما يحدث في العالم العربي غير أن هذا القصد يستدل عليه المتلقي من خلال كفاءاته التأويلية، وذلك بوقوفه على السخرية الصريحة التي تظهر في المحتوى القضوي للملفوظات، ومحاولة الاستدلال على القصد المضمر للشاعر، ويظهر ذلك في المقطع الشعري الموالي:

" الصحو

يواعدني

وكذبت بقلبي

كذبت كنشرة

أخبار

يكذب ...

يكذب...

صحوك يكذب باستمرار

باستمرار "[30]

نحت الشاعر لنفسه في هذا المقطع الشعري صورة الواعي والصاحي، وقد لجأ إلى أسلوب السخرية حتى يبلغ مقاصده إلى المتلقي بشكل غير مباشر، فالقارئ لهذه الملفوظات يجد أن الشاعر يُحمل كلامه معاني عميقة تنم عن وعي شاعر أدرك أسباب الهزائم والجرائم والمؤامرات التي يتخبط فيها العالم العربي، فأزمة الشعوب العربية هي أزمة غياب الوعي واليقظة في العالم العربي في المقام الأول، وقد عبر الشاعر عن هذا الأمر عبر ملفوظه المجازي التهكمي " الصحو يواعدني كذبت بقلبي ..." حيث أعلن الشاعر أن الصحو يواعده دلالة على غياب الصحو الذي أصبح شيئا محسوسا يواعد على سبيل الاستعارة المكنية، ولكنه يستدرك في الملفوظ الذي بعده من خلال ملفوظ آخر "كذبت بقلبي" الذي يحمل دلالات مستلزمة

تتمثل في اعتراف الشاعر بأنه يكذب، كما يحمل خطابا مضادا يتمثل في رغبة الشاعر بحلول الصحو على العالم العربي غير أن هذه الرغبة لا تتجاوز عتبة قلب الشاعر، وتكرار الشاعر لهذا الملفوظ " كذبت بقلبي" دلالة على الأمل الذي يتمسك به الشاعر في حلول الوعي بعد أن بدد الجلاد معالمه على أرجاء العالم العربي بممارساته القمعية، وبهذا يمكن القول إن الشاعر يوظف صورته المتهكمة حتى يعبر عن آرائه ومواقفه السياسية، ويقنع المتلقي بأهمية الوعي واليقظة، ورفع الغشاوة التي وضعها الجلاد على أعين الشعوب العربية.

وفي مقابل ذلك، عمد الشاعر إلى هدم صورة الآخر –الإعلاميين المزيفين– الذين يمثلون واجهة السلطة الحاكمة في المقام الأول، فالشاعر يضعنا أمام صورة تشبيهية، إذ شبه كذبه بخصوص مواعدته للصحو بنشرة الأخبار الكاذبة التي لم تعد تؤدي وظيفتها على أكمل وجه؛ أي نقل وتصوير ما يحدث في الواقع للجمهور بكل مصداقية؛ بل على عكس ذلك تماما أضحت وسيلة طمس الحقائق بدل نشرها وتوعية الجمهور، وذلك بما يتماشى مع سياسة الحكومة.

والمؤكد أن الشاعر واعٍ غير أنه من خلال هذه المقطع التهكمي يستهدف إقناع الجمهور المتلقي بضرورة أن يستيقظ ويخرج عن العبودية التي سلبت منه ذاته وحريته.

5.خاتمة:

بعد قراءتنا للمنجز الشعري النوابي في ضوء إستراتيجية الإيتوس الخطابي خلص البحث إلى النتائج الآتية :

- يعد الإيتوس إستراتيجية حجاجية تعمل إلى جانب الحجج العقلية والعاطفية على بناء خطاب إقناعي، فلم يعد الحجاج يقتصر على الحجج في حد ذاتها، وإنما حتى الذات المتلفظة تحاجج من خلال الصورة التي تقدمها عن ذاتها.
- توصلنا من خلال قراءتنا لأشعار مظفر النواب أن ذاته قد فرضت حضورها على مستوى الملفوظات الشعرية، فنجدها تعبر عن آرائه ومواقفه، فالشاعر يحاجج من خلال صورة ذاته حيث عمل على تصوير التزامه للوطن وصدقه وشجاعته .... مما يخلق الثقة بين الشاعر والمخاطب المفترض، فيذعن لما يحويه الخطاب من مواقف.

- وظف الشاعر صورته الخطابية بشكل مباشر كما وظفها أيضا ضمنيا؛ أين يستدل عليها المتلقي من خلال تفكيك دوال المنجز الشعري للبحث عن الصورة التي يريد الشاعر أن يمررها بشكل غير مباشر.
- لجأ الشاعر مظفر النواب إلى وسائل متعددة حتى يشكل صورة ذاته داخل خطابه من بينها السخرية و الاستعارة ....وكلها أفعال كلامية غير مباشرة غير أنها تمارس سلطتها على المتلقي لدفعه إلى الفعل.
- عمد الشاعر من خلال خطابه على بناء صورته في مقابل هدم صورة الآخر، وهذا ما يكسب خطابه قدرة أكبر على الإقناع من ناحية، ويصل إلى أغراضه الحجاجية من إقناع الجمهور العربي بفساد الحكام العرب وعدم صلاحيتهم للحكم.

6.الهوامش:

[1]1– عبيد، حاتم،(2013)، في تحليل الخطاب، ط1، تونس، دار الأردنية للنشر والتوزيع، ص 97.

[2]– صولة، عبد الله : (2011)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، تونس، مسكلياني للنشر، ص 72.

[3]– شارودو، باتريك، دومنيك، منغونو، (2008)، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، (د.ط)، تونس ، دار سيناترا، ص 230.

[4]– المرجع نفسه، ص 231.

[5]– المرجع نفسة، ص 231.

[6]– الشعبان، علي، (2008)، الحجاج بين المنوال والمثال، ط1، تونس، مسكلياني للنشر والتوزيع، ص 33.

[7]– علوي، حافظ إسماعيل، (2010)، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص 231.

[8]– عبيد، حاتم، في تحليل الخطاب، ص 116.

[9]– المرجع نفسة، ص 118.

[10]– قادم، أحمد،(2016)، بنات سعاد لكعب بن زهير – مقاربة حجاجية – مقال ورد ضمن كتاب جماعي ،التحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكمة)، تنسيق : أحمد قادم، سعيد العوادي، ط1 ،عمان، دار كنوز المعرفة، ص 558.

[11]– المرجع نفسه، ص 557.

[12]– علوي، حافظ إسماعيل، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 234.

[13]– الدهري، أمينة،(2011)، الحجاج وبناء الخطاب، ط1، الدار البيضاء، المدراس، ص 94.

[14]– مشبال، محمد ،(2021) محاضرات في البلاغة الجديدة، ط1،(لبنان– بيروت)، دار الرافدين، ص 94.

[15]– المرجع نفسه، ص 94.

[16]– دومنيك، منغونو ، مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب، تر: حسن المودن، مقال ورد ضمن كتاب جماعي : التحليل الحجاجي للخطاب، تنسيق أحمد قادم، سعيد العوادي، ص 765.

[17]– مشبال، محمد : (2016) في بلاغة الحجاج، ط1،(عمان)، دار كنوز المعرفة، ص 169.

[18]– الوظيفي، أحمد : الحجاج بالإيتوس في شعر النسيب نونية ابن زيدون نموذجا، مقال ضمن كتاب جماعي : التحليل الحجاجي للخطاب، تنسيق: أحمد قادم، سعيد العوادي، ص 582.

مشبال، محمد، في بلاغة الحجاج، ص [19]220،219

مشبال ، محمد ،محاضرات في البلاغة الجديدة، ص .[20]96

مشبال، محمد، في بلاغة الحجاج ،ص [21]180

[22]– النواب، مظفر،(2012)، الأعمال الكاملة، (د.ط)، القاهرة، دار فروس، ص 262.

[23]– المصدر نفسه، ص 388– 389.

– الدريدي، سامية،(2011)،الحجاج في الشعر العربي ،ط2، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص187.[24]

[25] – النواب، مظفر: الأعمال الكاملة، ص 210.

– الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص [26]269

[27]– النواب، مظفر، الأعمال الكاملة،ص 118.

[28]– المصدر نفسه، ص 124.

[29]–المصدر نفسه، ص 189.

[30]– المصدر نفسه، ص 392.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1- باتريك، شاردو، دومنيك، منغونو، (2008)، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، (د.ط)،تونس، دار سيناترا.
2- الدريدي، سامية، (2011)، الحجاج في العربي بنيته وأساليبه، ط2، الأردن، عالم الكتب الحديث.
3- الدهري، أمينة،(2011)، الحجاج وبناء الخطاب، ط1، الدار البيضاء، المدارس.
4- الشعبان، علي، (2008)، الحجاج بين المنوال والمثال، ط1، تونس، مسكلياني للنشر والتوزيع.
5- صولة، عبد الله،(2011)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، تونس، مسكلياني للنشر والتوزيع.
6- عبيد، حاتم، (2013)، في تحليل الخطاب، ط1، تونس، دار الأردنية للنشر والتوزيع.
7- علوي، حافظ إسماعيل،(2010)، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، الأردن، عالم الكتب الحديث.
8- قادم، أحمد، سعيد، العوادي، (2016)، التحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكمة)، ط1، (عمان)، دار كنوز المعرفة.
9- مشبال، محمد،(2016)، في بلاغة الحجاج، ط1، عمان، دار كنوز المعرفة.
10- مشبال، محمد،(2021)، محاضرات في البلاغة الجديدة، ط1، لبنان- بيروت ، دار الرافدين.
11 - النواب مظفر،(2012)، الأعمال الكاملة،(د.ط)، القاهرة، دار فروس.